كنوز السيرة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ولمن أراد طبعه وتوزيعه

أخذ إذن خطي من المؤلف

الطبعــة الثالثة

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

للتواصل

alabdolhady@hotmail.com

almanhaj@almanhaj.net

(+٩٦٥) ٩٤٨٨٦٠٨

شركة مكتبة وتسجيلات الإمام الذهبي

الكويت - حولي - شارع المثنى

هــاتــف: ٢٦٥٧٨٠٦ - فــاكــس ٢٦١٢٠٠٤

ص. ب: ١٠٧٥ - حولي - الرمز البريدي: ٣٢٠١١ الكويت

* فرع النساء: حولي - شارع الحسن البصري ٢٦١٥٠٤٦

* فرع المباركية : ســوق المباركية - ت: ٢٤٦٠٥٢٨

* فرع القرطاسية: حولي - مجمع البدري: ٢٦٥٧٨٠٦

كنوز السيرة

بقلم

عثمان بن محمد الخميس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد:

فالحمد للَّه الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأسبغ على أوليائه نعمه ظاهرة وباطنة، وبعث فيهم رسولًا من أَنْفُسِهم مولداً، ومن أَنْفَسِهم عجماً وعرباً، وهو أمينه على وحيه وخيرته من خلقه وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم والنهج المستقيم أرسله اللَّه رحمة للعالمين وإماماً للمتقين وحجة على الخلائق أجمعين.

أرسله اللَّه على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ومحبته، والقيام بحقوقه وسدّ دون جنته الطرق فلن تُفتح لأحدٍ إلا من طريقه، فشرح له صدره، ورفع

له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصّغار على من خالف أمره، وهو أرجح الناس عقلًا وحلماً، وأوفرهم علماً وفهماً، وأقواهم يقيناً وعزماً، وأشدهم بهم رأفة ورحمة، وزكّاه روحاً وجسماً، وآتاه حِكمة وحُكماً، وفتح به أعيناً عُمياً، وقلوباً غُلفاً، وآذاناً صُما.

إن اللَّه سبحانه وتعالى هو المنفرد بالخلق، والاختيار من المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقةً بهدي النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال جلّ جلاله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] .

فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل في عداد أتباعه، والناس بين مستقلّ ومستكثر، والفضل بيد اللَّه يؤتيه من يشاء.

نسأل اللَّه بمنّه وكرمه وعظيم نوْله أن نكون من أتباع هذا النبي الكريم ظاهراً وباطناً، آمين آمين آمين.

قال القاضي عياض عن منزلة رسول اللَّه ﷺ عند ربه: لا خفاء على من مارس شيئاً من العلم، أو خُصّ بأدنى لمحةٍ من فهم بتعظيم اللَّه تعالى قدْر نبينا عليه الصلاة والسلام وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام، وتنويهه من عظيم قدره بما تكلّ عنه الألسنة والأقلام، فمنها ما صرّح به تعالى في كتابه ونبّه به على جليل نصابه وأثنى عليه من أخلاقه وآدابه، وحض العباد على التزامه، وتقلّد إيجابه، فكان جلّ جلاله هو الذي تفضّل

وأولى، ثمّ طهّر وزكى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل بدءاً وعوداً، والحمد أولى وأخرى، ومنها ما أبرزه للعيان من خلْقه على أتم وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه وعلمها علم يقين من جاء بعده ﷺ.

عن أنس رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ أُتي بالبراق[1] ليلة أُسري به، فاستصعب عليه فقال له جبريل: أبمحمدٍ تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على اللَّه منه، فارفض عرقاً. أخرجه الترمذي[2]. وقال تعالى عن نبيه ﷺ منوهاً بفضله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فجاءت قراءة ﴿من أنْفُسِكُم﴾، وقراءة أخرى «من أَنْفَسِكم»[3]. وقال جلّ ذكره: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] وقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١-٤] ورفع الذكر للنبي ﷺ بالنبوة، وقيل بشهادة التوحيد، وقيل بالأذان، وكلها لا شك من رفع الذكر. وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] والصلاة من اللَّه ثناءٌ على

(١) البراق: الدابة التي أُسري بالنبي ﷺ عليها من مكة إلى بيت المقدس.
(٢) (٣١٣١).
(٣) وهي قراءة غير متواترة، أي: من أشرفكم وأرفعكم وأفضلكم.

النبي ﷺ. وقال جل ذكره: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾. وقال: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١-٣] وغير ذلك كثير.

وإن الحديث عن سيرة النبي الكريم ﷺ يبعث في النفس الحياة، ويعيد لها الأمل، وذلك أن من يقرأ سيرة سيد المرسلين يقرأ الدعوة إلى الحق، والصبر فيها، ولها، ويقرأ الحلم والأخلاق المتميزة، والعبادة الكاملة، والبذل والجهاد، إنه يقرأ الحياة كلها، يقرأ الحياة التي ينبغي أن يعيشها المسلم، وسنحاول من خلال هذه الورقات التعرف على حياة سيدنا وإمامنا وقدوتنا رسولنا محمد ﷺ.

❊ ❊ ❊

اسمه ونسبه

هو محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. وفهر هذا هو قريش فكل قرشي فهري وهو ﷺ مضري أي يرجع نسبه إلى مضر ثمّ إلى عدنان من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام. قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه(١).

وجَدُّ النبي ﷺ الخامس عبد مناف، كان على المشهور له أربعة من الولد وهم هاشم، المطلب، عبد شمس، ونوفل.

فرسولنا ﷺ يرجع نسبه إلى هاشم، وهاشم هذا اسمه عمرو ولُقِّبَ بهاشم لأنه كان يهشم الخبز يكسره ويقطعه ويقدمه للحجاج.

وهو أول من أطعم الثريد للحجاج، والثريد هو الخبز مع اللحم، وهو كذلك أول من سنّ الرحلتين لقريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف ولذلك قال الشاعر:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
سنّت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وأولاد هاشم عبد المطلب، وأسد وعمرو ونضلة وعبد المطلب لَقَب كذلك واسمه شيبة الحمد وإنما لُقِّب بعبد المطلب لأنه كان عند أخواله بني

---

(١) (٢٢٧٦).

النجار في المدينة لما توفي والده وذلك أن هاشماً كان متزوجاً من بني النجار من أهل المدينة، فذهب المطلب أخو هاشم إلى المدينة وأتى بابن أخيه ليكون عند أعمامه فلما دخل به مكة ظن أهل مكة أنه عبد اشتراه المطلب فقالوا: هذا عبد المطلب فقال لهم المطلب: لا، إنما هو ابن أخي هاشم فغلب عليه ذلك اللقب وصار لا يسمى إلا بعبد المطلب.

وعبد المطلب جد النبي ﷺ وقعت في زمنه واقعتان لم يغفلهما التاريخ:

الأولى: حفر زمزم، لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل وأم إسماعيل ومعهم شنة فيها ماء فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة ثم رجع إبراهيم إلى أهله فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه يا إبراهيم إلى من تتركنا ؟ قال إلى الله قالت رضيت بالله قال فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ويدر لبنها على صبيها حتى لما فني الماء قالت لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدا قال فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل تحس أحدا فلم تحس أحدا فلما بلغت الوادي سعت أتت المروة ففعلت ذلك أشواطا ثم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل تعني الصبي فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت فلم تقرها نفسها فقالت لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدا فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدا حتى أتمت سبعا ثم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل فإذا هي بصوت فقالت أغث إن كان عندك خير فإذا جبريل قال فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الأرض قال فانبثق الماء فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفر قال فقال أبو القاسم ﷺ: «لو تركته كان الماء ظاهرا». قال فجعلت تشرب من الماء ويدر لبنها على صبيها قال فمر

ناس من جرهم ببطن الوادي فإذا هم بطير كأنهم أنكروا ذاك وقالوا ما يكون الطير إلا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر فإذا هم بالماء فأتاهم فأخبرهم فأتوا إليها فقالوا يا أم إسماعيل أتأذنين لنا أن نكون معك أو نسكن معك فبلغ ابنها فنكح فيهم امرأة قال ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله إني مطلع تركتي قال فجاء فسلم فقال أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته ذهب يصيد قال قولي له إذا جاء غير عتبة بابك فلما جاء أخبرته قال أنت ذاك فاذهبي إلى أهلك قال ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله إني مطلع تركتي . قال فجاء فقال أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته ذهب يصيد فقالت ألا تنزل فتطعم وتشرب فقال وما طعامكم وما شرابكم؟ قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء . قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم . قال فقال أبو القاسم ﷺ : «بركة بدعوة إبراهيم» . قال ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله إني مطلع تركتي فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلا له . فقال يا إسماعيل إن ربك أمرني أن أبني له بيتا . قال أطع ربك قال إنه قد أمرني أن تعينني عليه قال إذن أفعل أو كما قال قال فقاما فجعل إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. قال حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾»[1]، ثم مرت السنون تلو السنين حتى خفيت معالم زمزم، وقد ذُكر أَنَّ عبدالمطلب كان نائماً يوماً ما فرأى في المنام أنه يؤمر بحفر زمزم ودُلّ على مكانها في النوم فقام إلى المكان الذي أُمر في المنام بحفره فحفره ووجد الماء، ثمّ أقام بعد ذلك سقاية الحاج .

(١) صحيح البخاري رقم ٣٣٦٥ .

الثانية: مجيء أبرهة الحبشي لهدم الكعبة، و قصة أبرهة كما ذكرها أهل العلم هي:

بَنَى أبرهة الحبشي كنيسة عظيمة بصنعاء، لم يُر في زمانها مثلها، وكتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك كنيسة لم يُبن مثلها لملك قبلك ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب[١]، فلما تحدث العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي، غضب رجل من كنانة فخرج حتى دخل الكنيسة في وقت لم يره فيه أحد، فجاء وقعد وأحدث في الكنيسة[٢]، فلما أُخبر أبرهة بذلك، قال: من صنع هذا؟ فقيل له: صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجه العرب بمكة، لما سمع بقولك إنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا فغضب غضباً شديداً.

وهنا لابد من التنبيه على نقطة مهمة: لاشك أن هذا الرجل سمع بمنكر وهو أن أبرهة أراد أن يصرف حج العرب من مكة إلى هذه الكنيسة فغضب لأجل هذا الأمر فأنكر ذلك المنكر بأن لَطَّخ الكنيسة بالعذرة، وهذا في مقابله أوجد عند أبرهة غضباً شديداً فعزم بعد ذلك على هدم الكعبة.

وقد نص أهل العلم على أنه لا يجوز إنكار المنكر بإيقاع منكرٍ أعظم منه، بل لابد أن يكون إنكار المنكر بحيث أن لا يقع بعد ذلك أو على إثره منكر أعظم منه.

غضب أبرهة لهذا الفعل وحلف لَيَسِيرنّ إلى البيت حتى يهدمه، ثمّ أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، وسار بستين ألفاً وأخرج معه الفيلة والعرب لا

(١) يعني يريد أن يضاهي بها الكعبة.
(٢) تبرز داخل هذه الكنيسة.

تعرف الفيلة في ذلك الوقت، ويذكر أن رئيس الفيلة فيل يسمونه محموداً.

فلما تجهز وسار سمع العرب بذلك فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقاً عليهم، وذلك أنهم وإن كانوا على الشرك ولكنهم كانوا يعظمون بيت اللَّه تبارك وتعالى.

فكان ممن قابله رجل من أهل اليمن يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من العرب إلى حرب أبرهة ولكن أبرهة هزم ذا نفر وأصحابه وأسره معه ثمّ مرّ بالطائف فخرج إليه مسعود بن معتّب الثقفي فقال له: أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا الذي تريد (يعنون اللات) إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه، فبعثوا معه رجلًا يقال له أبو رغال يدله على الطريق، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال (بضم الراء أو بكسرها) حتى نزل بالمغمّس[1] فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فبعد ذلك رجم العرب قبر أبي رغال وذلك أنهم يرون أن هذا الرجل كان رجل سوء لأنه كان دليلًا لأبرهة إلى هدم بيت اللَّه الحرام، وفيه يقول جرير في هجوه الفرزدق لأنهما كانا دائماً يتهاجيان وبينهما نفرة (بضم النون) يقول جرير:

إذا مات الفرزدق فارجموه كرجمكم لقبر أبي رغال

قال ابن إسحاق: فلما نزل أبرهة بالمغمّس بعث رجلًا من الحبشة يقال له الأسود على خيل له حتى أتى مكة فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمّت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم لقتاله ثمّ عرفوا أنه لا طاقة لهم

(١) قرب مكة على طريق الطائف.

لقتال أبرهة، وبعث أبرهة رجلًا يقال له حناطة إلى مكة وقال: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفهم ثمّ قل له إن الملك يقول: إني لم آت لحربكم وإنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا لنا دونه فلا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم يرد حربي فأتني به.

فجاء حناطة وكلّم قريشاً بما قال أبرهة وخرج معه عبد المطلب لأنه سيد قريش في ذلك الزمن فلما دخل عبد المطلب على أبرهة احتار أبرهة ماذا يفعل؟ وذلك أنه أراد أن يكرم عبد المطلب، قال: إن أجلسته معي على عرشي كان في هذا منقصة لي، وإن تركته وأنا على العرش كان في ذلك منقصة له.

فنزل عن عرشه وجلس مع عبد المطلب على الأرض.

فأول ما كلمه قال لعبد المطلب: ماذا تريد؟ قال: لقد أخذتم مئتين من الإبل لي فأعيدوها، فغضب أبرهة وقال: لقد ظننتك أكبر من هذا وأعظم جئتني تسألني عن إبلك ولا تطلب مني أن أرجع عن البيت وألّا أهدمه.

فقال عبد المطلب قولة كانت في وقتها حساسة جداً ثم صارت بعد ذلك مثلًا يضرب قال عبد المطلب: أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه.

فقال أبرهة: ما كان ليمتنع منّي.

قال: أنت وذاك.

فقال أبرهة: ردوا عليه إبله.

فلما رجع عبد المطلب إلى قريش أخبرهم الخبر وقال لهم: اخرجوا من مكة فلا طاقة لكم بقتال أبرهة.

فخرجوا إلى الجبال، ثمّ قام عبد المطلب وأخذ بحلقة الباب (باب الكعبة)

وقام معه نفر من قريش يدعون اللَّه، ويستنصرونه على أبرهة وجنده وقال عبد المطلب:

لا همّ إن العبد يمنع رحـ ـله فامنع رحالك
لا يغلبنّ صليبهم ومحا لهم غدواً محالك
إن كنت تاركهم وقبلتـ ـنا فأمر ما بدا لك

ثمّ أرسل عبد المطلب حلقة الباب وانطلق ومن معه إلى الجبال يتحرزون فيها ينتظرون ماذا يفعل أبرهة.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله، وعبأ جيشه فلما وجهوا الفيل محموداً إلى مكة برك ولم يمش معهم وبالتالي لم تمش بقية الفيلة، فقال بعضهم: ما منع الفيل؟ قالوا: لا ندري.

قال: اضربوه، فضربوا الفيل فأبى فوجهوه إلى اليمن فقام، ووجهوه إلى الشام فقام، ووجهوه إلى المشرق فقام، فلما وجهوه إلى مكة برك، ثمّ بعد ذلك فوجئوا بأن أرسل اللَّه تبارك وتعالى عليهم الطير الأبابيل كما قال اللَّه تبارك وتعالى: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ نعم هكذا أرسل اللَّه تبارك وتعالى الطير الأبابيل، ورمت أبرهة ومن معه بحجارة من سجيل فأهلكهم اللَّه تبارك وتعالى جميعاً.

وقيل إنه بقي بعضهم حتى يخبروا قومهم بما فعل اللَّه تبارك وتعالى بهم.

أعمامه ﷺ

يذكر أن عبد المطلب كان له أحد عشر ولداً وهم: الحارث وهو أكبرهم حمزة، العباس، أبو طالب، أبو لهب، حجل، الزبير، الغيداق، المقوّم، صفّار (وقيل ضرار)، عبد الكعبة، فأولاد عبد المطلب ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: قسم أدرك الإسلام ودخل فيه، وهما حمزة والعباس.

وقسم أدرك الإسلام ولم يدخل فيه، وهما أبو طالب و أبو لهب، وقسم لم يدرك الإسلام وهم بقية أولاد عبد المطلب.

عماته ﷺ

البيضاء ويقال لها أم حكيم، وصفية وعاتكة وبرة وأروى وأميمة وأسلمت منهن صفية.

وعلى المشهور أن عبد المطلب لما حفر زمزم منعته قريش من أخذه لها ولم يكن له ولد يمنعه، فحزن لأجل هذا ونذر قائلا: لئن رزقني اللَّه عشرة من الولد لأذبحنّ أحدهم تقرباً للَّه، فرزقه اللَّه تبارك وتعالى أولئك الأولاد فأراد أن يوفي بنذره فعمل قرعة فوقعت القرعة على ولده عبداللَّه والد النبي ﷺ فلما أراد ذبحه قامت إليه قريش ومنعته، فقال عبد المطلب: فكيف أصنع بنذري؟ فأشاروا عليه بأن يأتي العرافة فيسألها فجاءها وسألها فأمرته أن يقرع بين ابنه عبداللَّه وعشرة من الإبل فقرع فوقعت القرعة على عبد اللَّه فقالت له: زد عشرة، فزاد عشرة من الإبل فوقعت القرعة على عبد اللَّه فقالت له: زد عشرة، وهكذا كلما زاد عشرة من الإبل كانت تقع القرعة على ولده عبد اللَّه حتى بلغت الإبل مئة، فأقرع فوقعت القرعة على الإبل.

عند ذلك قام عبد المطلب فنحر الإبل ثمّ تركها لا يرد عنها أحداً من البشر أو السباع.

وكانت الدية عند العرب في ذلك الوقت عشراً من الإبل فبعد هذه الحادثة صارت الدية عند العرب مئة من الإبل، والإسلام أقرها.

فالدية الآن في دين اللَّه تبارك وتعالى مئة من الإبل.

* * *

ولادة النبي ﷺ

في شهر ربيع الأول على المشهور امتن اللَّه تبارك وتعالى على البشرية بولادة سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجّلين، وذلك بعد حادثة الفيل بأشهر في مكة المكرمة، وولد يتيم الأب وذلك أن أباه مات وأمه حامل به، وكانت ولادته ﷺ ولادة معتادة لم يتمكن المؤرخون كما يذكر أهل العلم من تحديد يوم مولده وشهره على وجه الدقة، أما يوم المولد من أيام الأسبوع فهو يوم الاثنين كما قال النبي ﷺ: «يوم الاثنين يوم ولدت فيه» أخرجه مسلم[1]، ولكن في أي اثنين اللَّه أعلم.

قيل في التاسع من ربيع الأول، وقيل في الثاني عشر وقيل غير ذلك وقيل في رمضان ولكن المشهور أنه في الثاني عشر من ربيع الأول.

وتحديد يوم ميلاده ﷺ لا يرتبط به شيء من الناحية الشرعية وأما ما يقوم به كثير من الناس في كثير من بلاد المسلمين من الاحتفال بيوم مولد النبي ﷺ فإنه عمل غير صالح، وذلك لأمور منها:

أولًا: إنه لا يعرف مولده على الدقة ﷺ.

ثانياً: لم يحتفل النبي ﷺ بيوم مولده في حياته أبداً مع أنه عاش ثلاثاً وستين سنة ﷺ.

ثالثاً: لم يحتفل الصحابة ولا التابعون ولا الأئمة المتبوعون وغيرهم من العلماء بيوم مولده ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

---

(١) (١١٦٢).

رابعاً: إن النبي ﷺ لم يأمرنا بذلك مع أنه قال: «ما تركت خيراً يقربكم إلى اللَّه والجنة إلا وقد أمرتكم به».

خامساً: المتفق عليه بين أهل العلم أن الثاني عشر من ربيع الأول هو يوم وفاته ﷺ فلو احتفلنا في هذا اليوم فكأننا نحتفل بيوم وفاته.

فما لم يأمرنا به ﷺ فليس بخير فالخير كل الخير في الاتباع والشر كل الشر في الابتداع ولذلك قال النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أخرجه البخاري ومسلم[١] أي مردود على صاحبه.

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري (٢٦٩٦) ومسلم (٤٥٨٩).

مرضعاته عليه السلام

لما ولد النبي ﷺ أرضعته أول ما أرضعته ثويبة وهي مولاة عمه أبي لهب وكانت قد أرضعت قبل النبي ﷺ عمه حمزة ولذلك فحمزة رضي الله عنه يكون أخاً للنبي ﷺ من الرضاعة وأمهما جميعاً ثويبة مولاة أبي لهب.

ولم يدم هذا الأمر طويلًا وذلك أنه كان من عادة العرب أنهم يلتمسون المراضع لأولادهم لمدة سنتين ثمّ تفطمه وتعيده إلى أمه.

ونترك حليمة السعدية تذكر لنا قصتها مع النبي ﷺ، تقول حليمة السعدية: خرجتُ من بلدي مع زوجي وابن لي صغير أُرضعه في نسوة من بني سعد بن بكر ألتمسُ الرضعاء، وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً[١]، فخرجت على أتان لي قمراء[٢]، معنا شارف لنا[٣]، واللَّه ما تبض بقطرة[٤]، وما ننام ليلنا أجمع من صبيّنا الذي معنا من بكائه من الجوع، واللَّه ما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغذيه، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منّا امرأة إلّا وقد عرض عليها رسول اللَّه ﷺ فتأباه وذلك إذا قيل لها إنه يتيم وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي فكنّا نقول يتيم وما عسى أن تصنع أمه وجدّه فكنّا نكرهه لذلك.

---

(١) والشهباء يعني لا زرع ولا ماء.
(٢) الأتان هو الحمار والقمراء يعني بيضاء.
(٣) والشارف هي الناقة.
(٤) يعني ما فيها حليب أبداً.